﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾ [الحجر: 14 - 15]

الرّبط بين كفر السّابقين، وكون الآيات الباهرة، لا يؤمن بها المتأخّرون من الكفرة

مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

لمّا بيَّن الله تعالى أنَّ كفرَ مَنْ كفَرَ مِنْ أهْلِ مَكَّةَ ليس لِنَقْصٍ في المعجزة التي جاء بها رسول الله ﷺ، إنّما ذلك؛ لأنّهم صدّوا عن الحق، فلو جئت بالمعجزات التي لا يماري فيها العقلاء لماروا فيها، وادَّعَوا ضلال أبصارِهم، فجاءت هذه الآية[1].

شَرْحُ الْمُفْرَداتِ:

1) ﴿فَظَلُّواْ﴾: أصلُ (ظلّ): يَدُلُّ على سَتْرِ شَيءٍ لِشيءٍ، فالظِّلُّ: ظِلُّ الإنسانِ وغيره، تَقولُ: أظَلَّتْني الشَّجَرَةُ، وظِلٌّ ظَليلٌ: دائمُ الظِّلِّ[2]، ومِنَ البابِ قَولُهُم: ظَلَّ يَفْعَلُ كذا، وذلكَ إذا فَعَلَهُ نَهارًا، وإنَّما قُلنا: إنَّهُ من البابِ؛ لأنَّ ذلكَ شَيءٌ يُخَصُّ به النَّهارُ، وذلكَ أنَّ الشَّيءَ يكونُ له ظِلٌّ نهارًا، ولا يُقالُ: ظَلَّ يَفْعَلُ كذا ليلًا؛ لأنَّ اللَّيلَ نَفْسَهُ ظِلٌّ[3]. والمقصود بـ (ظلَّ) في الآية: ما يدُلُّ على الكَوْنِ في النَّهارِ.

2) ﴿يَعۡرُجُونَ﴾: العُروجُ: مصدر عَرَج، وهو الصُّعودُ والارتِفاعُ، والمِعْراجُ: آلةُ العُروجِ كالمَصعَدِ والمَرْقى التي يُصْعَد بها من أسْفَلَ إلى أعلى، فهو بِمنزِلَةِ السُّلَّمِ أو الدَّرَجِ، ولكن لا تُعرف كيفيَّتُهُ، يُقال: عَرَجَ إلى السَّطح وإلى السَّماء، يعرُجُ، عُروجًا ومَعْرَجًا، أيْ: صَعَدَ[4]، والمقصود بالعروج في الآية: الصُّعودُ.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/4074.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظل).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ظل).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، والزّبيديّ، تاج العروس: (عرج).

3) ﴿سُكِّرَتْ﴾: أصلُ (سكر) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى حَيْرَةٍ، مِنْ ذلكَ السُّكْرُ مِنَ الشَّرابِ، يُقالُ: رَجُلٌ سِكِّيرٌ، أيْ: كَثيرُ السُّكْرِ، والتَّسْكيرُ: التَّحْييرُ، والسَّكْرُ: سَدُّ الشِّقِّ ومُنْفَجَرِ الماءِ، والسِّكْرُ: اسْمُ ذلكَ السِّدادِ الَّذي يُجْعَلُ سَدًّا لِلشِّقِّ ونَحْوِه، والماءُ إذا سُكِرَ: تَحَيَّرَ[1]، وقولُهُ ﷻ: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾[2] أيْ: سُدَّتْ، وتَحيَّرت[3]، وهو المراد هنا في الآية.

4) ﴿مَّسْحُورُونَ﴾: أصلُ (سحر) يدلُّ على خَدْعٍ وشِبْهِه[4]، وحقيقةُ السِّحْرِ: صَرْفُ الشَّيءِ عَنْ حَقيقَتِهِ إلى غَيْرِه، فكأنَّ السّاحِرَ لّمّا أرَى الباطلَ في صورَةِ الحَقِّ، وخَيَّلَ الشَّيءَ على غيرِ حَقيقَتِه، قَدْ سَحَرَ الشَّيءَ عَنْ وجْهِه، أيْ: صَرَفَهُ[5]. تَقول العَرَبُ للرَّجُل: ما سَحَرَكَ عَن وجه كذا وكذا؟ أيْ: ما صَرَفَك عَنهُ[6]، والمَسْحور: ذاهِبُ العَقْلِ المُفْسَدُ[7]. والسِّحْرُ: الأُخْذَةُ؛ وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُه، ودَقَّ، فَهوَ سِحْرٌ، والجَمْعُ أسحارٌ وسُحورٌ، ورجلٌ ساحِرٌ مِنْ قَوْمٍ سَحَرَةٍ، والسِّحْرُ: البيانُ في فِطْنَةٍ[8]. والمقصود بالسِّحرِ في الآية: تَخْييلُ ما ليس بِكائِنٍ كائِنًا، والمرادُ: ما رأيناهُ هو تَخَيُّلاتُ المَسْحورِ[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

صـورَةٌ عَجيبَةٌ لعناد الكافرين، ولجحودهم للحقّ بعد ما تبيَّن

ختم الله ﷻ هذه الآيات الكريمة برسم صورة عجيبة لتعنُّت المكذبين، وصدودهم عن الحقِّ، بعد ما توضَّح، فقال: ولو فَتَحْنا

(1) ابن عباد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سكر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سكر).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (سكر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سحر).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سحر).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سحر).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس: (سحر).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رهق).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/26.

على هؤلاءِ الكُفّارِ بابًا مِن السَّماءِ، فجعلوا يصعَدونَ في وضَحِ النَّهارِ في ذلك البابِ، ويُشاهِدونَ ما في السَّماءِ بأعيُنِهم مِن مَلَكوتِ اللّهِ تعالى وقُدرتِه وسُلطانِه ومَلائكَتِه، لجَحَدوا أنْ يكونوا رأوا شَيئًا، ولقالوا: إنَّما سُدَّتْ أبصارُنا بالسِّحرِ، ومُنِعَت من النَّظَرِ، بل نحن قومٌ سَحَرَنا محمَّدٌ، فما عُدْنا نعقِلُ الأشياءَ، ونراها كما يجِبُ[1]، أو المعنى: ولو فَتَحْنا على هؤلاءِ الكُفّارِ بابًا مِن السَّماءِ، فظلَّت الملائكة تعرج فيه، وهم يرونهم عيانًا لجحدوا بها، وقالوا: سُدَّت أبصارُنا، فلم نَرَ شيئًا، بل نحن قومٌ سَحَرَنا محمَّدٌ ﷺ، فما نعقل شيئًا[2].

الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة التّعبير بأداة الشَّرط (لَوْ):

حجَّة القرآن كافية هادية، لا يحتاج مع وضوحها إلى بيّنة تعدوها

لَمّا كان حرف (لَوْ) يفيد تعليق حصولِ مضمون الجزاء لحصولِ مضمون الشَّرط فرضًا في الماضي مع انتفاء الشَّرط على سبيل القطعِ؛ دلَّ على أنَّ الشَّرط المذكور ما هو إلّا على سبيل الفرض، وأنَّه منتفي الوقوع، وسِيقَ الكلامُ بهذا الأسلوبِ؛ لإقامة الحجَّة على المشركين في إثباتِ مكابرتِهم ومعاندتِهم، وإنْ ظَهَرَتِ الآياتُ، ووَضُحَتِ الحِجَجُ والمعجزاتُ، والغرض هو الإيذانُ بأنَّ معجزة القرآن كافية وافيةٌ واضحةٌ، وأنَّ أيَّ معجزةٍ أخرى لا تنفعهم.

فائدة التّعبير بـ(على) في قولِه: ﴿عَلَيۡهِم﴾:

أفعالُ الله عظيمةٌ ولا مدى لحدودِ أفعالِه

قولِه: ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، أفاد التَّعبير بحرف الجرِّ (عَلَى) استيعاب الفتح عليهم، وتمكُّنه منهم بحيث لا يبقى شيءٌ مغلقٌ عليهم، ولم يَقُلْ: (ولو فتحنا لهم)؛ لِما يؤذن به حرف الجرِّ (إلى) بالإذن لهم في فتح بابٍ من السماء، والأمر على فرضِ المستحيل لإثباتِ معاندتِهم.

---

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/52، وابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/354، والسّعديّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 430.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/72، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/353، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/525.

مناسبة مجيء الفعل ﴿فَتَحۡنَا﴾ بصيغة التّعظيم:

للإشعار بعظم الفعل، وأنّه لا يصدر إلّا من الملكِ الواحدِ الأحدِ، وأنّه لا فتحَ في عطاءٍ ومددٍ، إلّا من اللّه الأحد.

دلالة التّنكير في قوله: ﴿بَابٗا﴾:

للسَّماء أبوابٌ وليس لها بابٌ واحدٌ

أفادَ تَنْكِيرُ الباب تَعْظِيمَهُ وتَفْخِيمَهُ للإيذانِ بعلوِّ شأنِ أبواب السَّماء، ودلَّ التَّنكيرُ على أنَّ للسَّماء أبوابًا كثيرة، وليس لها بابٌ واحدٌ؛ لمجيء ﴿مِّنَ﴾ التبعيضية، كما أفاد التَّنكير أنَّ أيَّ بابٍ منها له الحكم المذكور.

دلالة الضّمير، في قولِه: ﴿فَظَلُّواْ﴾:

العنادُ والمكابرةُ، صفةٌ لازمةٌ للكافرين

يَحْتَمِلُ أنْ يكون الضَّمير عائدًا إلى المشركين الّذين طلبوا الإتيان بالملائكة والمعجزات، فيكون المعنى: ولو فتحنا على هؤلاء المشركين من قومك بابًا من السّماء، فظلّوا هم فيه يعرجون؛ ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾، كما يَحْتَمِلُ أنْ يكون عائدًا إلى الملائكة، فيكون المعنى: ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد: ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بابًا من السماء، فظلَّ الملائكة فيه يعرجون، والمشركون يرونَهم عيانًا؛ ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾، والقصدُ أنَّه لو فَتَحَ للمشركين بابًا من السماء؛ فإنَّهم يصرفون ما يعاينون من مشاهدة الآياتِ الباهرات عن حقيقتِه عنادًا ومكابرةً، أيْ: لَوْ صَعِدوا إلَى السَّماءِ، وشاهَدوا المَلَكوتَ والمَلائِكَةَ؛ لَأصَرّوا عَلَى الكُفْرِ[1].

فائدة الفاء، في جملة ﴿فَظَلُّواْ﴾، من السّياق:

العروج في السّماء، لا يكون إلّا عن طريق بابها

أفادت الفاء العطف؛ لِتُفِيدَ أنَّ الشَّرط مؤلَّف من جملتين بمجموعِهما تتمُّ الحجَّة على المشركين، كما أفادت الفاء التَّرتيب

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/73، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/573، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/353، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/8.

بمعنى: أنَّ العروج في السَّماء لا يكون إلّا عن طريق بابِها، فتكون الجملة الأولى بمنزلة السبب للثّانية، ويكون الجزاءُ الممتنع مرتَّبًا على مجموعِ الجملتين الممتنعتي الحصول.

بلاغة الاستعارة في قولِه: ﴿فَظَلُّواْ﴾:

(ظلَّ) يُسْتَعْمَلُ لعملٍ يكون في النّهار، للإشعارِ بوضوحِ الرُّؤية وجلائها

لَمّا كان المرادُ أنَّه لو فتح اللّه بابًا من السَّماء؛ لعاينوا الآياتِ، وشاهدوها بوضوح؛ اسْتُعِيرَ لَفْظُ ﴿فَظَلُّواْ﴾ للتعبير عن ظهور الأمر ووضوحِه، بحيث يكون حالُهم مثل حالِ من كان في النَّهار؛ لأنَّ (ظلَّ) يُسْتَعْمَلُ لعملٍ يكون في النَّهار، يقال: ظل فلان يفعل كذا؛ إذا فعله بالنهار[1]، وأَشْعَرَ لَفْظُ ﴿فَظَلُّواْ﴾ بطول المعاينة لِما هو متبادر من اللفظ حيث لا قرينة على إرادة بعضِ الوقتِ، والكلامُ على طريق الاستعارة التصريحية التبعيَّة، ويَحْتَمِلُ أَنْ يكون قد ذَكَرَ الظلول؛ ليجعل عروجهم بالنهار؛ ليكونوا مُسْتَوْضِحِينَ لِما يرون، فيكون المرادَ من اللفظ الحقيقَةُ؛ لكونِ الرؤية في النَّهار مُنْكَشِفَةً وواضحةً[2].

نكتة التّعبير بلفظ ﴿يَعْرُجُونَ﴾:

عُـروجُ الإنسانِ يقتضي نـزولَه، من باب المخالفة

عُبِّرَ بـ ﴿يَعْرُجُونَ﴾؛ للإشعار بأنَّهم ينزلون، ويصعدون، فذكرَ العروجَ، واستغنى عن ذكر النُّزول؛ لأنَّ العروجَ لا يكون بدون النُّزول؛ لأنَّ الكلام في الإنسان في الحياةِ الدنيا، وليس في الملائكة، فكان ذكرُ العروج ذكرًا للنُّزول، وكانَ حذفُه اختصارًا، واقتضى ظاهرُه إضمارًا[3]، أو لأنَّ العروجَ أصعبُ من النزول، فمن كان قادرًا على العروج؛ كان على النّزول أقدر.

دلالة اللّام في قولِه: ﴿لَقَالُوٓاْ﴾:

أفادت اللّام تأكيدَ قولِهم وتقريرَه، على فرضِ فتح باب من

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 12/555، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/573.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/573، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل3/208، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/128.

(3) أبو حفص النّسفيّ، التّسير في التّفسير: 9/175.

السَّماء. والقول في الفؤاد يعبّر عن المراد، وإنّما جعل اللّسان على الفؤاد دليلا.

دلالة قوله: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾:

التَّعنُّت طبع مسترذل، يُعْمِي الأبصارَ

أَشْعَرَ هذا القولُ باليأس من إيمانِهم، ولَمّا كان فرض عروجهم في باب من أبواب السّماء على معنى ظهور الآيات الباهرات الممتنع إنكارُها لوضوحها؛ أفاد أنَّهم يقولون ذلك لشدَّة تعنُّتهم وسفههم، وأنَّهم ينكرون معاينة ذلك.

بلاغة القصر في قوله: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾:

المبالغة في التَّعنُّت مع ظهور الآيات، دليل المكابرة والسَّفه

عُبِّرَ بالأداة ﴿إِنَّمَا﴾ لإيذانِ المخاطَب أنَّ ما يقولونه من تسكير أبصارِهم أمرٌ لا يعوز المخاطَبَ تحقيقُه ولا إقامةُ الحجَّة عليه؛ لأنَّه في نفسِه جليٌّ وظاهر؛ لِيُفِيدَ أنَّ قولَهم إنَّما هو على سبيل المعاندة والمكابرة، ولَمّا كانت الأداة (إنَّما) تفيد القطع بما بعدها؛ أفاد مجيئُها أنَّهم يبتّون القولَ بأنَّ ذلك ليس إلّا تسكيرًا للأبصار، وأنَّ ما يرونه لا حقيقة له، فإنَّه لَمّا قال: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ﴾ الذي يفيد ظهور الآيات الباهرات أمامَ أعينهم؛ كان الجزاء ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾، على سبيل قصرِ القلب، أيْ: أبصارنا لم تبصر شيئًا باهرًا، بل سُكِّرت، وسُدَّت[1].

دلالة جوابِ الشّرط، في قوله: ﴿لَقَالُوٓاْ﴾:

المجرمون لا يعتبرون، ولا يؤمنون بالآياتِ الباهرات

قولِه: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾، وفيه أنّه لَمّا كان لفظ ﴿لَقَالُوٓاْ﴾ واقعًا في جواب الشَّرط؛ أفاد أنَّ ظهورَ الآياتِ لهم ومعاينتهم لها لا ينفع في إيمانِهم ولا التَّأثير في قلوبهم، وليس لهم إلا قولهم: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾، فأعلمَ اللّه ﷻ أنَّ هُؤلاءِ لا يَعْتَبِرونَ، ولا يوقِنونَ، ولا يؤمنون بأبْهَرِ ما يكون من الآيات وأوضحِها[2].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/573، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/208، والسّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 291، 295.

(2) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/68.

سرّ إيثار التّعبير بالأداة ﴿بَلْ﴾:

السِّحر أشدُّ من تسكير البصر

لَمّا كان الحرف ﴿بَلْ﴾ للإضرابِ الانتقالي، أفادَ أنَّ ما بعده أعظم؛ ليؤذنَ بالانتقال لِما هو أشنع وأقبح وصفًا، وكأنَّه على سبيل التَّرقي، فوصفوا أنفسهم بأنَّهم مسحورون؛ لأنَّ تسكير البصر يُصيبُ النَّظرَ، والسِّحرُ يُصيبُ العقلَ والتأثير في جملة الجوارح، ومنها النَّظرُ، والمعنى: أنَّ الأمر لا يختصُّ بتسكير الأبصار، بل نحن قومٌ مسحورون في عقولنا وأبصارنا وجميعِ جوارحِنا[1].

دلالة إيثار التَّعبير بالجملة الاسميّة ﴿نَحۡنُ قَوۡمٌ﴾:

قَبَّحَ الكافرين في ادِّعاء استمرار السِّحر عليهم، لاستمرارِ ظهورِ الآياتِ

قوله: ﴿نَحۡنُ قَوۡمٌ مَّسۡحُورُونَ﴾، وفيه أنّه عُبِّرَ بالجملة الاسميَّة لِما تفيدُه من دوام مضمونِها، بمعنى: نحن قومٌ دائمون على مسحوريَّتنا، لإبطالِ أيِّ حجَّةٍ ترد عليهم، وإيرادُ الجملة الاسميَّة بعد تسكير الأبصارِ لبيان إنكارِهم لغير ما يرونه، فإنَّ عروجَ كلٍّ منهم إلى السماء، وإنْ كان مرئيًّا لغيره؛ فهو معلوم بطريق الوجدانِ مع قطع النّظرِ عن الأبصار، فهم يدَّعون أنَّ ذلك نوعٌ آخرُ من السّحر غيرُ تسكير الأبصار[2].

سرُّ إيراد كلمة ﴿قَوۡمٌ﴾ في السّياق:

لـفـظ الـقـوم يـدلُّ على القوَّة والاعتداد

في قولِه: ﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٌ مَّسۡحُورُونَ﴾، وفيه إيراد كلمة ﴿قَوۡمٌ﴾ هُنا دونَ أنْ يَقولوا: (بَلْ نَحْنُ مَسْحورونَ)؛ لِأنَّ ذِكْرَها يَقْتَضي أنَّ السِّحْرَ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْهُمْ، واسْتَوَى فيهِ جَميعُهُمْ حَتَّى صارَ مِنْ خَصائِصِ قَوْميَّتِهِمْ، ولَمّا كان لفظ القوم يطلق عادةً على جماعة الرِّجال الذين يعتدُّ بهم، ويظاهر بعضهم بعضًا؛ عبَّروا به لِلإشعار بقوَّة السِّحر، فيناسب التَّرقي إلى الأعظم بعد ذكر تسكير الأبصار[3].

---

(1) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/353، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/130.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/70.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/25.

نكتة إيثار التَّعبير بـ﴿مَّسْحُورُونَ﴾:

ادِّعاء السِّحر طريق للهروب من الحقيقة

للإيذان بأنَّهم يقولون: إنَّ كلَّ ما يرونه من الآيات المعجزات الباهرات هو باطلٌ خُيِّلَ إليهم بنوعٍ من السِّحر على سبيلِ التَّمويه والتَّزويق، وليس ثابتًا على الوجه الذي شاهدناه، فالحقيقة خلاف المرئيِّ[1].

القراءات في إبراز الاستعارة التّصريحية، في ﴿سُكِّرَتْ﴾:

لفظ (سُكِّر) بالتّشديد تكثير في تسكير الأبصار، وبالتَّخفيف مأخوذ من سُكرِ الشَّراب

قرأ السّبعة سوى ابن كثير ﴿سُكِّرَتْ﴾، وقرأ ابن كثير ﴿سُكِرَتْ﴾، فعلى قراءة التَّشديد يَحْتَمِلُ أنْ يكون اللَّفظُ مأخوذًا من السَّكْر؛ وهو سَدُّ الشِّقِّ لئلّا ينفجر الماء، ففي اللّفظ استعارة تصريحيَّة تبعيَّة، فَكَأَنَّ هَذِهِ الأَبْصارَ مُنِعَتْ مِنَ النَّظَرِ كما يَمْنَعُ السَّكْرُ الماءَ مِنَ الجَرْيِ، ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ مأخوذًا من سُكْرِ الشّرابِ؛ ففيه استعارة تصريحية تَبَعِيَّةٌ أيضًا، بتشبيه ما اعترى الأبصار من خللٍ في إحساسِها وفسادٍ في النَّظر بما يعتري عقل السّكران، فيختلُّ إدراكُهُ، أيْ: إنَّ الأبصارَ حارت، ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرّجل السَّكران من تغيُّر العقل وفساد اللُّبِّ، فـ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتّشديد على هذا التَّوجيه يراد به زيادة في المنعِ وتكثيرٍ في تسكير الأبصار، أيْ: مرَّةً بعدَ مرَّة على سبيل المبالغة، وأمّا على قراءة التَّخفيف؛ فاللَّفظ مأخوذ من سُكرِ الشَّراب، ويجري فيه الاستعارة المذكورة[2].

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3: 208، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/131.
(2) الهداية إلى بلوغ النّهاية: 6/3869، والأزهريّ، معاني القراءات: 2/68، والواحديّ، التّفسير البسيط: 12/557، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/573، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/129، وابن الجزرّي، النّشر في القراءات العشر: 2/301، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/266.